أو العبادة أو الساعات أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص وعن الحسن
أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وقرئ أشد وطأ بالفتح
والكسر والمعنى أشد ثبات قدم وأبعد من الزلل وأثقل وأغلظ على المصلي من صلاة
النهار من قوله عليه السلم اللهم اشدد وطأتك على مضر وأقوم قيلا وأشد مقالا
وأثبت قراءة لهدو الأصوات سبحا تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا يفرغ إلا
الليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل كلفه قيام الليل
ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو أن الليل أعون على المواطأة وأشد للقراءة لهدو
الرجل وخفوت الصوت وأضم لنشر الهم من النهار لأنه وقت تفرق الهموم وتوزع
الخواطر والتقلب في حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك
في حوائجك وقيل إن فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه واذكر
اسم ربك ودم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان
من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة
علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله
ونهاره وتبتل إليه وانقطع إليه فإن قلت كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا قلت
لأن معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل رب المشرق
والمغرب قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك وعن ابن عباس
على القسم بإضمار حرف القسم كقولك الله لأفعلن وجوابه لا إله إلا هو كما تقول
والله لا أحد في الدار إلا زيد وقرأ ابن عباس رب المشارق والمغارب فاتخذه
وكيلا مسبب على التهليلة لأنه هو وحده هو الذي يجب لتوحده بالربوبية
أن توكل إليه الأمور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والإظهار اهجرهم هجرا جميلا
أن تجانبهم بقلبك وهواك وتخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والإغضاء

وترك المجافاة وعن أبي الدرداء إنا لنكشر في وجوه قوم ونضحك إليهم وإن قلوبنا
لتقليهم وقيل هو منسوخ بآية السيف إذا عرف الرجل من صاحبه أنه مستهتر بخطب
يريد أن يكفاه أو بعدو يشتهي أن ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه
قال ذرني وإياه أي لا تحتاج إلى الظفر بمرادك ومشتهاك إلا أن تخلي بيني وبينه
بأن تكل أمره إلي وتستكفينيه فإن في ما يفرغ بالك ويجلي همك ثم يمنع حتى يطلب إليه
أن يدعه وإياه إلا ترك الاستكفاء والتفويض كأنه إذا لم يكل إليه أمره فكأنه منعه
منه فإذا وكله إليه فقد أزال المنع وتركه وإياه وفيه دليل على أن الوثوق بالله تمكن
من الوفاء بأقصى ما يرد وكذلك أمنية المخاطب وما يرد عليه النعمة بالفتح التنعم
وبالكسر الإنعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا أهل تنعم
وترفه إن لدينا ما يضاد تنعمهم من أنكال وهي القيود الثقال الواحد نكل ونكل
ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب
في الحلوق ولا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم ومن عذاب أليم من سائر العذاب فلا ترى
موكولا إليه أمرهم موذ وزانيته ومنهم ينتقم منهم بمثل ذلك الانتقام وروي أن
النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن أنه أمسى صائما فأتي بطعام
فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال
ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاءوا
فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق يوم ترجف منصوب بما في لدينا والرجفة
الزلزلة والزعزعة الشديدة والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء إذا جمعه كأنه
فعيل بمعنى مفعول في أصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة أجز جفالا وأحلب
كثبا ثقالا أي كانت مثل رمل مجتمع هيل مهيلا أي نثر وأسيل الخطاب لأهل مكة
شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم فإن قلت لم نكر الرسو